ما أنا عن نفسي براضٍ

الخميس 30 أكتوبر 2025 06:00 م

لا بد أن ينشغل الدعاة والمصلحون بعيوب أنفسهم عن عيوب الآخرين، وأن يكون هذا هو دينهم، ومن كان هذا هو شأنه فلن تجده متتبعًا لعيوب وعثرات الآخرين

ولكن من ترك عيوب نفسه انشغل بعيوب الآخرين، وحرص على إظهار عوارهم وتقصيرهم، لذا إذا وجدت إنسانًا همّه تصيد الأخطاء وإثارة الشبهات فاعلم أنه مليء بالعيوب والنواقص والمثالب

يقول الإمام الشافعي:

أعرض عن الجاهل السفيه *** فكل ما قال فهو فيــه

ما ضرَّ بحر الفرات يـومًا *** إن خاض بعض الكلاب فيه (1)

وقال رجل للأحنف بن قيس: ادللني على رجل كثير العيوب، فقال الأحنف بن قيس: " اطلبه عيابًا، فإنما يعيب الناس بفضل ما فيه ".(2)

وهذا أبو بكر بن الأنباري، قال: أنشدنا ثعلب، قال: أنشدنا ابن الأعرابي:

ويأخذُ عيْبَ المرء من عيب نفسه *** مُرادٌ لعمري ما أراد قريبُ(3)

ويقول الشاعر:
فأجرأ من رأيت بظهر غيـب *** على عيب الرجال ذوو العيـوب

ويقول الأستاذ عبد الحميد البلالي: " إن الدعاة لا بد أن يفكروا دائمًا في تقصيرهم تجاه من هداهم للإيمان، ويحاولوا دائمًا إكمال نقصهم، فهذا هو التابعي الربيع بن خيثم الذي تكاملت صفاته حتى قال له ابن مسعود: لو رآك رسول الله لأحبه ".(4)

يغتاب في مجلسه رجل، وكأن القوم أرادوا أن يشاركهم في ذم ذلك الرجل فقال: " ما أنا عن نفسي براض، فأتفرغ من ذمها إلى ذم الناس، إن الناس خافوا الله في ذنوب العباد وأمنوا على ذنوبهم ".(5)

وكما أن القاعدة التي علّمنا الرسول صلى الله عليه وسلم أنه " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ..". كذلك الحال فيمن يقع في أعراض الناس ويسبهم ويحتقرهم ويحقد عليهم إنما دعاه لذلك نسيانه لذنوبه وعيوبه وتقصيره ".(6) (انتهى كلام البلالي).

وما أجمل ما أنشده الإمام الشافعي إذ يقول:

يا هاتكًا حرم الرجال وقاطعًا *** سبل المودة عشت غير مكــرم
لو كنت حرًا من سلالة ماجــد *** ما كنت هتّاكًا لحرمة مســلــم(7)

ويقول كذلك:

إذا رميت أن تحيا سليمًا من الردى *** ودينك موفور وعرضك صينُ

فلا ينطقنْ منك اللسانُ بســوأة *** فكلك سوءاتٌ وللناس ألسـن

وعيناك إن أبدت إليك معــائبا *** فدعها وقل يا عين للناس أعينُ

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى *** ودافع ولكن بالتي هي أحسـن(8)

ويروى أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: " عجبًا لابن آدم، يرى القذاة في عين أخيه ولا يرى الجذاع في عينه ".

ويقول آخر:
قبيح من الإنسان ينسى عيوبه *** ويذكر عيبًا في أخيه قد اختفى

فلو كان ذا عقل لما عاب غيره *** وفيه عيوب لو رآها بها اكتفى(9)

.....

الهوامش:

1 محمد بن إدريس الشافعي، ديوان الشافعي، جمعه وعلّق عليه محمد عفيف الزعبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1983، ص 90.
2 أبو علي القالي، الأمالي، جـ 2، دار الكتب العلمية، بيروت، غير محدد سنة الطبع، ص 267.
3 المرجع السابق، ص 267.
4 تقريب التهذيب، ج1، ص 244.
5 أحمد بن حنبل، كتاب الزهد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978، ص 336.
6 عبد الحميد البلالي، فقه الدعوة في إنكار المنكر، دار الدعوة، الكويت، ص 126-127.
7 محمد إدريس الشافعي، ديوان الشافعي، جمعه وعلّق عليه محمد عفيف الزعبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1983، ص 77.
8 المرجع السابق، ص 84.
9 على فكري، السمير المهذب، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1979، ص 88.